الرسالة

(أفسس ٤: ٧-١٣)

يا إخوةُ لكلٍّ واحدٍ منَّا أُعطيَتِ النِّعمةُ على مقدار موهبَةِ المسيح* فلذلك يقولُ لما صعِدَ إلى العُلى سبى سبياً وأعطى الناسَ عطايا* فكونُهُ صعِدَ هل هو إلاَّ أنَّه نزَل أولًا إلى أسافلِ الأرضِ* فذاك الذي نزلَ هو الذي صعِدَ أيضاً فوق السمواتِ كُلِّها ليملأ كلَّ شيءٍ* وهو قد أعطى أن يكونَ البعضُ رُسُلًا والبعضُ أنبياءَ والبعضُ مبشِّرينَ والبعضُ رعاةً ومعلِّمين* لأجلِ تكميلِ القديسيَن ولعملِ الخدمةِ وبُنيانِ جسدِ المسيح* إلى أن ننتهي جميعُنا إلى وحدةِ الإيمانِ ومعرفةِ ابنِ اللهِ إلى إنسانٍ كاملٍ إلى مقدارِ قامةِ مِلءِ المسيح.

المحافظة على المعموديّة

عيّدنا منذ يومين لمعموديّة الربّ يسوع، أو ما يُسمّى لاهوتيًّا «الظهور الإلهيّ»، كون الثالوث القدّوس اعتلنَ عند نزول الربّ يسوع في نهر الأردنّ: المسيح في النّهر، الروح القدس بهيئة حمامة، والآب من السماء يقول «أنتَ ابني الحبيب الذي به سُررت» (مر ١: ٩-١١).

نحن لا نُدعى مسيحيّين إلّا إذا اعتمدنا على اسم هذا الثالوث الظاهر، كما لا نكون مسيحيّين فعلًا إلّا إذا سرنا بهَدي هذا الثالوث وحافظنا على وجوده في حياتنا، وهكذا يكون كلٌّ منّا إبنًا حبيبًا يسرّ به الله.

في المعمودية نُلبس لباساً أبيض دلالة على الحالة الملكوتية التي نصير فيها. إنه ثوب الملائكة، ثوب البراءة والقداسة. لكن، كيف نحافظ على لباس معموديّتنا ناصع البياض؟ ثمّة «معموديّة ثانية» في كنيستنا، هي معموديّة الدّموع المعروفة بسرّ التوبة والاعتراف. في كل مرّة نعترف، نتمّم نوعًا من المعمودية لأنّ الاعتراف يُسمّى «المعمودية الثانية». أصلًا، لم تكن هناك حاجة للاعتراف كوننا تُبنا مرّة واحدة، ثمّ اعتمدنا ودخلنا في جسد الكنيسة وكان علينا أن نتمتّع بنِعَمِ الله ومواهبه. إلّا أنّ الإنسان ضعيف ويسقط، لهذا أعطانا الربّ المعموديّة الثانية، أي التوبة.

العدد ٢ / ٢٠١٧
الأحد ٨ كانون الثاني
الأحد بعد عيد الظهور الإلهي
تذكار أمنا البارة دومينيكية
وأبينا البار جرجس الخوزيبي
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر السابع

وجدت الكنيسة في بداياتها صعوبة في ما يتعلّق بهذا الموضوع. إذا انتبهنا جيّدًا إلى ما يقوله الرسول والإنجيلي يوحنا: «كلّ من يثبت فيه لا يخطئ، كلّ من يخطئ لم يبصره ولا عرفه. أيّها الأولاد لا يُضلّكم أحد، من يفعل البرّ فهو بارّ كما أنّ ذاك بارّ. من يفعل الخطيئة فهو من إبليس لأنّ إبليس من البدء يخطئ. لأجل هذا أُظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس. كلّ من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لأنّ زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنّه مولود من الله» (١يو ٣: ٦-٩)، وإلى ما يقوله الرسول بولس: «فماذا نقول. أنبقى في الخطيئة لكي تكثر النّعمة؟ حاشا. نحن الذين متنا عن الخطيئة كي

نعيش بعدُ فيها. أم تجهلون أنّنا كلّ من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدُفنّا معه بالمعموديّة للموت حتّى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضًا في جدّة الحياة. لأنّه إن كنّا قد صرنا متّحدين معه بشبه موته نصير أيضًا بقيامته. عالمين هذا أنّ إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُبطَلَ جسد الخطيئة كي لا نعود نُستَعبد أيضًا للخطيئة» (رو٦: ١-٦)، نستنتج أنّه لا يمكن للمسيحيّ أن يخطئ، إذ بمجرّد أن يعتمد يكون من غير المعقول أن يرتكب أيّ خطيئة. لقد واجهت الكنيسة صعوبة في ما يختصّ بالساقطين، فقرّرت أن تهب الغفران للّذين سقطوا في خطايا كبيرة بعد العماد، وللّذين شوّهوا المعموديّة بطريقة أثّرت على حياة الجماعة ككلّ.

لهذا السبب إذًا ثمّة اعتراف. فكما ندخل في الكنيسة بوساطة المعموديّة ثمّ نحصل على كلّ شيء، كذلك الأمر عندما نتوجّه نحو الكاهن لنعترف بخطايانا جميعها. إضافةً إلى ذلك، على الإنسان أن يبقي على شفتيه بعد الإعتراف عبارة «يا إلهي اغفر لي»، لأنّه، ولو اعترف الإنسان مرّتين في اليوم، لن يستطيع تذكّر خطاياه جميعها لكثرتها.

حين تُشوَّه المعموديّة الأولى بالخطيئة، لا بدّ من أن تأخذ المعموديّة الثانية حيّزًا. لو لم تكن هناك حاجة إلى الإعتراف لَما قال السيّد: «إقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت» (يو ٢٠: ٢٣)؛ إذًا، لا شكّ في أنّه يجب إتمام المعموديّة الثانية. فعندما لا نكون معمَّدين، نذهب في بادئ الأمر إلى المعموديّة، والأمر نفسه يحدث عندما يقع المعمَّد في الخطايا، إذ يهرع أوّلًا نحو الإعتراف.

إذًا، التوبة هي «حميم إعادة الولادة»، و«الحميم» لغويًّا هو «الماء الحارّ»، والإنسان لكي ينظّف جسده من الأوساخ «يستحمّ» أي يستخدم الماء الحارّ ليزيل تلك الأوساخ. تاليًا فإنّ الدموع الحارّة المنسكبة من عينيّ الخاطئ التائب تنظّفه من جميع أدناسه الروحيّة وتعيد ثوب معموديّته ناصع البياض مجدّدًا، مثلما كان عند خروجه من جرن المعموديّة.

ألا جعل الربّ الإله قلوبنا الحجريّة تلين، حتّى نعرف أنّنا أناس خاطئون، وهكذا نهرع إلى الكنيسة حيث يغسل الكاهن ثوب معموديّتنا من خلال سرّ الإعتراف، بعد أن نكون قد بدأنا نحن بعمليّة الغسل هذه بوساطة دموع توبتنا الصادقة، فنصبح تاليًا مستحقّين لتناول جسد الربّ ودمه. في النهاية، ما سرّ الإعتراف سوى برهان حسّيّ على عظمة محبّة الله ورحمته تجاهنا، لأنّه فرصة ثانية للعودة إلى أحضان الكنيسة والله الآب بعد أن نكون قد ضللنا وخرجنا وغرقنا في دنس الخطيئة.

أبو الآباء

تُعيّد كنيستنا المقدّسة في العاشر من شهر كانون الثاني للقدّيس غريغوريوس أسقف نيصة في آسيا الصغرى. لم يؤرّخ أحدٌ حياة القدّيس غريغوريوس النيصصي، لذا معلوماتنا عن تفاصيل حياته غير كافية، إنما يمكننا أن نستقي بعض التفاصيل من معلوماتٍ مبعثرةٍ في كتاباته، ومن رسائل القدّيس

الإنجيل

(متى ٤: ١٢-١٧)

في ذلك الزمان لمَّا سمعَ يسوعُ أَنَّ يوحنا قد أُسلِمَ انصرفَ إلى الجليلِ* وترك الناصرةَ وجاء فسكَنَ في كَفْرَناحوم التي على شاطئِ البحرِ في تخومِ زَبولونَ ونفتاليمَ* ليتمَّ ما قيل بإشعياءَ النبي القائل: أرضُ زبولونَ وأرضُ نفتاليم طريقُ البحرِ عَبْرُ الأردنِ جليلُ الأُمم* الشعبُ الجالسُ في الظلمةِ أبصرَ نوراً عظيماً والجالسون في بقعةِ الموتِ وظلاله أشرق عليهم نورٌ* ومنذئذٍ ابتدأ يسوعُ يكرِزُ ويقول: توبوا، فقد اقتربَ ملكوتُ السموات.

تأمل

«توبوا فقد اقترب ملكوت السموات».

طريق التوبة والغفران الأول هو الاعتراف، ولكي تتأكّد أنه هكذا أنظر كيف أنّ واحداً آخر اعترف بخطيئته وتخلّص منها.

وقع النبي والملك داود في خطيئة مزدوجة وهي الزنى والقتل. رأى امرأةً تستحمّ ورغب فيها بقوة، وتالياً فقد زنى معها. هكذا سقط نبيّ في الزنى،

لكنه لم يكن قد أدرك بعد إلى أيّ حدّ أظلمه الهوى. فقد أظلمت النفس بالهوى، وتمرّغ الجسد في الحمأة.

ماذا فعل الله؟ أرسل له النبي ناثان، فجاء النبي إلى النبي، وهذا يحدث مع الأطباء أيضاً إذ عندما يمرض أحدهم فإنه يحتاج إلى طبيبٍ آخر. الأمر نفسه حصل هنا، حيث خطئ نبيٌّ فجاء نبيّ آخر بالعلاج. إذاً، جاء ناثان لكنّه لم يؤنبه مباشرةً عندما دخل، ولم يقُل له: «يا مخالف القانون والملوّث الذي سقطتَ في الزنى والقتل، كيف وطئتَ وصايا الله وقد كرّمك هو كلّ هذا التكريم؟» لم يتفوّه ناثان بكلامٍ كهذا لكي لا يجعله أكثر وقاحةً، لأنّ الخاطئ عندما تُكشَف خطاياه يصبح أكثر وقاحةً. ماذا قال له إذاً؟ «أيها الملك سأعرض عليك قضيةً وأريدك أن تكون حَكَماً فيها: كان رجلان في مدينة واحدة، أحدهما غنيّ والآخر فقير، وكان للغنيّ غنم وبقر كثيرة جداً وأما الفقير فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها وربّاها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً، تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة، فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه باسيليوس الكبير، ومن وثائق تاريخيّة كنسيّة.

هو الأخ الأصغر للقدّيس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية كبادوكية. وُلد حوالي سنة ٣٣٥م، ونشأ في أجواء التقوى المسيحيّة التي تميّزت بها عائلتهما، فرُسم قارئًا في الكنيسة وهو ما زال فتى. تأثّر بأخيه القدّيس باسيليوس، وكثيرًا ما تكلّم عنه بإجلالٍ كبيرٍ مسمّيًا إياه مساوياً للرسل الّذين أتى بعدهم. تكلّم أيضًا عن أخته القدّيسة مكرينا قائلاً إنها كانت بمثابة معلّمٍ ثانٍ له، متذكّرًا إيّاها بمحبّةٍ كبيرة. هكذا نشأ القدّيس غريغوريوس في جوٍّ تعمّه الثقافة اللازمة، إنما أيضًا التقوى والنسك اللازمَين لينمو في معرفةٍ حقيقيّةٍ لله.

سيم القدّيس غريغوريوس أسقفاً على نيصة التي تبعد عشرة كيلومترات عن قيصرية الكبادوك لجهة الشرق، وذلك عنوةً، على يد أخيه رئيس الأساقفة القدّيس باسيليوس الكبير، إذ إنّ شخصيّته لم تتحرّر من تأثير أخيه ولم يستطع أن يعارض مشيئته، فقبل مرغمًا بهذه المهمّة التي فرضها عليه القدّيس.

رغم أنّ القدّيس غريغوريوس لم يكن ضليعًا بأمور الأسقفيّة، إلا أنه تمكّن من مساعدة أخيه القدّيس باسيليوس في الجهاد ضدّ الهرطقات، من خلال الكتابة واللاهوت. عدم امتلاكه المؤهّلات الإداريّة، وقلّة خبرته في الشؤون المالية وكيفيَّة معالجتها، منح أعداءه الآريوسيين، أي الذين لا يؤمنون بألوهيّة يسوع المسيح، ذرائع كافية ليوجّهوا إليه اتهاماتِ زورٍ تتعلّق باستعمال أموال أسقفيّته وتحويلها لمصلحته. وقد أدانه الآريوسيّون سنة ٣٧٤، وأطاح به مجمعٌ ضمَّ عددًا من أساقفتهم، ما اضطرّه إلى التواري في نفيٍ اختياري لحوالي ثلاث سنوات حتى وفاة الامبراطور فالنس. حين عاد إلى أبرشيّته في نهاية العام ٣٧٧، استقبله الناس في نيصة بحماسٍ كبير، ما يُظهر الغيرة والإخلاص اللذين كان يرعى بهما شعبه.

بعد عودته من المنفى، توفّي أخوه القدّيس باسيليوس (٣٧٩)، وبعده بقليلٍ أخته القدّيسة مكرينا، معلّما الإيمان والحياة الروحيّة، والسند الوحيد لأخيهما القدّيس غريغوريوس، وقد قاده هذا الموت إلى الوحدة والشعور بالضعف، وسقط نتيجة ذلك في حالةٍ من اليأس والحزن. يظهر هذا في رسائله إلى الراهب أولمبوس، حيث يصف مراحل موت أخته القدّيسة مكرينا بتأثّرٍ كبير، هي الّتي كانت مسيحيّةً حقيقيّةً لجهة الإيمان والنسك.

إلاّ أنّ قدّيسنا استطاع أن يشقَّ طريقه من قلب اليأس والحزن، نتيجة شعوره بالمسؤولية الكبيرة التي وقعت عليه. فاعتبر نفسه وريث أخيه في الأمانة على الرسالة المسيحية التي وُضعت بين يديه، وبدأ العمل على جمع وتنسيق رسائل أخيه القدّيس باسيليوس الّتي لم يستطع إنهاءها، ومنها «أيام الخلق الستّة» و«ضدّ أفنوميوس».

في سنة ٣٧٩م، اشترك القدّيس غريغوريوس في المجمع المنعقد في مدينة أنطاكية من أجل إنهاء مشكلة الانشقاق فيها بين أتباع ملاتيوس الإنطاكي وبافلينوس، من دون أن يحقّق هذا المجمع أيّ

نجاح. إلاّ أنّ القديس غريغوريوس نال ثقة المجمع، وسُلّطت الأضواء عليه نظراً لموهبته الخطابيّة المميّزة، وقد كُلِّف بالقيام بجولة استطلاعٍ على كنائس البنطس، وأُرسل في مهمّة إلى فلسطين والعربية لمعالجة خلافاتٍ كنسيّة.

سنة ٣٨١م، اشترك وصديقه القدّيس غريغوريوس اللاهوتي في المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية، حيث حيّاه المجتمعون كـ «عمود الأرثوذكسية»، وقد ألقى الخطبة الافتتاحية فيه. في هذه الفترة، كان القدّيس باسيليوس قد توفّي، لذلك برزت شخصية أخيه بقوةٍ أثناء انعقاد المجمع، وشعر الجميع بأنه وريث فكره وأنّ العناية الإلهيّة اختارته لكي تنتصر الحقيقة بوساطته، وقد سمَّاه الامبراطور ضامن الأرثوذكسيّة في بلاد البنطس. كانت مهمّته أن يمتحن إيمان أساقفتها، فيثبّت النيقاويين، أي المؤمنين بتعاليم المجمع المسكوني الأول الذي عُقد في نيقية، ويُقيل الآريوسيّين. كما جرى تكليفه بعددٍ من المهام، منها الاطّلاع على وضع الكنيسة في العربية وبابل.

اشترك القدّيس غريغوريوس النيصصي أيضًا في المجامع التي عُقدت في القسطنطينيّة (٣٨٢–٣٨٣)، متابعًا جهاده ضدّ الآريوسيّين. يُذكر اسمه للمرة الأخيرة سنة ٣٩٤ في مجمعٍ آخرٍ عُقد في القسطنطينية. ثم يتوارى ذكره بعد هذا التاريخ، لذلك يُرجّح أنه توفّي سنة ٣٩٥.

اعتبره معاصروه أعظم مدافعٍ عن الأرثوذكسيّة ضدّ الآريوسيّة وهرطقات أُخرى، وأطلقوا عليه ألقاب: «عمود الأرثوذكسيّة» و«أبو الآباء». إلّا أنّ بعض الشكوك والجدالات ظهرت في نهاية القرن الرابع حول كتاباته، تزامنًا مع بداية النقاشات حول كتابات أوريجنّس، فكان واضحًا تطوّر لاهوته بتأثيرٍ من فكر هذا الأخير، لكنّ المجمع المسكوني السابع المنعقد في نيقية عام ٧٨٧، أعاد له الاعتبار مطلقًا عليه من جديد لقب «أبو الآباء». فبشفاعاته اللهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

نشاط ميلادي

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس، نظّم مكتب التربية المسيحية في أبرشية بيروت وتوابعها وبمشاركة رعايا الأبرشية كافة وشبكة مدارس Eduvation نشاطاً ميلادياً لحوالي الـ١٢٠٠ طفل وطفلة من أبناء رعايا الأبرشية.

ابتدأ النشاط بالقداس الإلهي في كنيسة القديس نيقولاوس حيث رتّل الأولاد خدمة القداس واشتركوا في الأسرار المقدسة، ثم تناولوا الفطور معاً وتوجهوا إلى مدرستي البشارة الأرثوذكسية وزهرة الإحسان بحسب أعمارهم حيث اشتركوا في ألعاب ترفيهية تثقيفية. وفي نهاية النشاط وُزعت الهدايا على الجميع. على أن يتجدّد اللقاء السنوي هذا كل عام في موسم الميلاد المبارك.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

وبقره ليهيّئ للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيّأ له» (أنظر ٢ صمو ١٢: ١–٤).

بماذا أجاب الملك؟ كان يعتقد أنه يتكلّم على شخص آخر، فغضب بشدة وقال لناثان: «حيّ هو الرب. فليُقتل الرجل الفاعل ذلك ويردُّ النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق» (٢ صمو ١٢: ٥–٦). حكمٌ قاسٍ جداً، لكن هكذا هم الناس، يحكمون بسهولة على الآخرين، بقوةٍ وقساوةٍ كبيرتين.

ماذا فعل ناثان حينذاك؟ لم يضع ملطّفاتٍ على الجرح لوقتٍ طويل، وسرعان ما غرز المشرط عميقاً لكي يؤلم الملك فقال: «أنتَ مَن فعل هذا»، أجابه الملك داود مباشرةً: «أخطأت إلى الرب» (٢ صمو ١٢: ١٣). لم يقل مَن تكون أنت لتحاسبني؟ ومَن أرسلك لتكلّمني بهذه الجرأة؟ كيف تجرؤ على القيام بأمرٍ كهذا؟ لكنه أدرك خطيئته واعترف بها قائلاً: «أخطأت إلى الرب»، عندئذٍ أكّد له ناثان: «والرب قد غفر لك خطيئتك». سامحه لأنه حكم على نفسه، ومحا خطيئته لأنه اعترف بها بشهامة. إذاً الاعتراف هو الطريق الأول الذي يقود إلى التوبة.

القديس يوحنا الذهبي الفم